ملخص خطبة الجمعة ٢٣/٧/٢٠٢١م

يتابع حضرته نصره الله الحديث عن الفتوحات و المعارك في عهد سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه:

حرب البويب ١٣هـ:

حدثت بعد هزيمة المسلمين في واقعة الجسر في رمضان، بين الجيوش العربية بقيادة المثنى، وجيش الفرس بقيادة مهران بن باذان. حيث أرسل قائدُ الفرس مهرانُ إلى المثنى يقول: إما أن تعبر إلينا وإما أن نعبر إليك. فقال المثنى: اعبروا أنتم. انتصر المسملون في هذه المعركة وبلغ عدد قتلى الفرس مئة ألف قتيل بمن فيهم قائدهم مهران أيضا. استُشهد في هذه المعركة بعض كبار المسلمين، لم يتعرض المسلمون في مهمتهم الحربية ضد الفرس لضياع أرواح بهذا العدد قبل هذه المعركة. وكان من نتائج هذه المعركة أن ثبتت أقدام المسلمين في معظم أنحاء العراق بقوة، وصار سواد العراق حتى الدجلة في أيديهم. وانتشر المسلمون بعد هذا الانتصار في شتى أنحاء العراق.

معركة القادسية ١٤هـ:

وقعت بين المسلمين والفرس. قام رستم وفيروزان بتمتين كل القلاع والمعسكرات. ولما أبلغ المثنى سيدَنا عمر رضي الله عنهما بنشاطات الفرس هذه قال والله سوف أجعل رؤساء العرب وملوكهم يتصدون لملوك العجم. فحشد لهذه المعركة عسكرا كبيرا قد اجتمع في المدينة. وأراد في البداية الخروج على رأس الجيش إلا أنه بعد استشارة نخبة من أصحاب الراي استقر الرأي على سعد بن أبي وقاص. فأمَّر سيدنا عمر ﷺ سيدنا سعدا وقد كان ﷺ موقنا بأنهم سينتصرون.

كان سيدنا عمر ﷺ قد بعث سيدنا سعد بن أبي وقاص إلى فارس مع أربعة آلاف مجاهد، ثم انضم إليهم ألفان من اليمن وألفان من نجد، كما انضم إليهم في الطريق ثلاثة آلاف نفر من بني أسد وألف وسبعمائة مجاهد برفقة أشعث بن قيس الكندي. وصار عدد المجاهدين في الجيش الإسلامي تدريجا أكثر من ثلاثين ألف. ويمكن أن تقدَّر أهمية هذا الجيش أنه كان يضم تسعا وتسعين من الصحابة الذين كانوا قد شهدوا بدرا مع النبي ﷺ، وكتب الطبري أن عددهم كان ينوف على سبعين، وكان أكثر من ثلاثمائة وعشرة من الصحابة الذين كانوا صحبوا النبي ﷺ من البداية إلى بيعة الرضوان، وكان ثلاثمائة من الصحابة الذين كانوا في فتح مكة، كما كان في هذا الجيش سبعمائة من أولاد الصحابة وإن لم يكونوا هم من الصحابة.

وصل سيدنا سعد بن أبي وقاص ﷺ إلى شراف، بينما توفي سيدنا المثنى فكتب سيدنا سعد تفصيل إقامة الجيش إلى سيدنا عمر ﷺ، فهو رتَّب الجيش بنفسه وكتب إلى سعد أن يقسم الجيش كله في أحزاب حيث يضم كل حزب عشرة مجاهدين ويجعل لهم قائدا، وأن يجعل أحدا أميرا على كل تلك الأحزاب، ثم

يرسلهم إلى القادسية بعد عدِّهم، وأن يحتفظ بكتيبة المغيرة بن شعبة تحت قيادته، وبعد ذلك يكتب له مستجدات الأمور.

أقام سيدنا سعد في القادسية مدة شهر استجابة للأوامر الآتية من عاصمة الخلافة، و لم يبرز لتصديه أحدٌ من الفارس، فكتب أهل المنطقة إلى ملك الفارس يزدجرد أن العرب مقيمون في القادسية منذ فترة، و لم تفعلوا شيئا لمقاومتهم، وإن لم تصلنا النجدة منكم فسوف نسلِّم لهم كل شيء. فاضطُر رستم للخروج مع الجيش في مائة وثلاثين ألف متبوع وثلاث وثلاثين فيلة، واستغرق مسيره من المدائن إلى وصول القادسية أربعة أشهر، وبعد نزوله في القادسية فحص رستم جيش المسلمين وطلب من المسلمين أن يرجعوا وطرح الصلح. فردّ عليه المسلمون: إنا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة. طلب رستم من المسلمين إرسال وفد إليه من أجل المفاوضة. وكان في خيمة رستم سجادات راقية وثمينة وجميع أسباب الراحة والزينة، وأول من دخل على رستم من المسلمين هو ربعي بن عامر فعرض على رستم ثلاثة أمور، فقال: إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك (أي إذا دفعتم الجزية حميناكم) وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا.

وفي اليوم التالي بعث سعد ﷺ حذيفة بن محصن الذي كرر الأمور الثلاثة نفسها التي كان ربعي قالها. وفي اليوم الثالث بُعث المغيرة بن شعبة الذي ذكر مثل ما تقدم، فقال رستم: إذًا تموتون دونها. فقال المغيرة: يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم. فاستشاط رستم غضبا ثم حلف بالشمس أن لا يرتفع الصبح غدًا حتى نقتلكم أجمعين. وبعد المغيرة أيضا أرسل سعدٌ إلى رستم بقيةَ ذوي الرأي الذين رجعوا من عنده عشيا. وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم، وأرسل إلى الفرس، شأنكم والعبور، ولأن الجسر كان تحت سيطرة المسلمين لذا اضطر الفرس لبناء جسر آخر على نهر العتيق، ولما ركب رستم ليعبر قال: غدا ندقهم دقا! وكان سعد قد أكمل ترتيب الصفوف وكانت قروح ظهرت على جسده وما كان يستطيع الجلوس بسبب ذلك، فكان يظل يستلقي على صدره واضعا وسادة تحت صدره على سطح العرش أو على مكان مرتفع صُنع على الشجرة. ومن هناك كان ينظر إلى الجيش. واستخلف سعد ﷺ خالد عرفطة على الناس.

اليوم الأول أو يوم أرماث: بدأ القتال بين المسلمين والفرس بعد صلاة الظهر. ألحق الفرس ضرر كثيرا بالمسلمين. نادى عاصم بن عمرو التميمي في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال: يا معشر الرماة، ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل. واستمر القتال حتى بعد غروب الشمس واستُشهد خمسمئة مسلما من بني أسد.

وفي صباح اليوم الثاني، أو يوم أغواث: دفن سعد الشهداء وسلّم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم وفي هذه الأثناء طلعت نواصي الخيل من الشام، وعليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي، فتعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشارًا، وهم ألفٌ، كلما بلغ عشرة كبروا الله لكي يظن العدو أن المسلمين يصلهم المدد باستمرار، فقالوا فيه بقول أبي بكر: "لا يهزم جيش فيهم مثل هذا".

و لم يقاتل الفرس في هذا اليوم على الفيلة، لأن وابيتها كانت تكسرت بالأمس. أما المسلمون فقد ألبسوا ألقوا على إبلهم ثيابا غطَّت أجسادها وأعناقها فكانت تشبه الفيلة. هذه الإبل حيثما كانت تذهب كانت تجعل خيل الفرس تفر منها. هذا اليوم انتصر فيه المسلمون.

اليوم الثالث أو يوم عماس: كان المسلمون على مواقفهم، أرسل سعد ﷺ إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو: اكفياني الفيل الأبيض، فأرديا. وبعد ذلك طعن بعض المسلمين الآخرين في عين فيل آخر، فهرب الفيل، وكان يدعى الأجرب، إلى نهر العتيق وألقى نفسه فيه، فاتبعته الفيلة وهلكت مع ركبانها. فاجتلدوا حتى أمسوا. وبعد صلاة العشاء اشتد القتال. بات سعد يستيقظ طوال الليل ويدعو الله تعالى، ولما أصبح المسلمون كان حماسهم ونشاطهم قائمَين وكانوا غالبين.

وفي الصباح الذي تلا تلك الليلة كانت حالة التعب سائدة على الناس جميعا لأنهم سهروا الليلة كلها. وقد سُمِّيت هذه الليلة بـــ ليلة الهرير لتركهم الكلام وإنما كانوا يهرون هريرا.

اليوم الرابع يوم القادسية: هوجم رُستمُ ومضى نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه مسلم اسمه هلال، وأخذ برجليه ثم خرج به حتى قتله، بعد مقتل رُستم هرب جيش الفرس مهزوما. فلحقهم المسلمون وقتلوهم وأسَروا عددا كبيرا منهم.

هذه الحرب تُعَد حربا حاسمة ضمن فتوحات العراق، إذ قد واجه المجاهدون المسلمون الظروف المعادية جدا بكل شجاعة وبسالة. وقال المؤرخون إنه عندما حُدِّدت رواتبهم من قبل الخليفة عُد اشتراكهم في حرب القادسية عاملا مهما. أي قد حدّد سيدنا عمر ﷺ رواتب المشتركين في حرب القادسية أكثر من غيرهم.